كلية التربية **مادة / مهارات الكتابة**

الفرقة الأولى أساسي والثالثة عام / لغة عربية **د / إيمان طاهر**

المحاضرة الأولى

المبحث الرابع (أسس الكتابة العربية)

تقرر فيما سبق أن الكتابة العربية كتابة حَرْفية ، والكتابة الحرفية تقوم على أساس تخصيص رمز كتابي أو خطي لكل صوت من أصوات اللغة ، هذا الرمز الخطي هو ما يُعرَف في اللغة العربية بمصطلح (الحرف) ، وإذا كانت الحروف هي الأساس التي تقوم عليه الكتابة العربية فإنه يلزم التعرف على كل ما يتعلق بالحروف العربية من حيث : **تعريفها** ، **وعددها** ، **وأسمائها وأشكالها ، وترتيبها** ، وفيما يلي تفصيل لهذه العناصر الخمسة ، كل عنصر على حدة :

أولًا : تعريف مصطلح (الحرف) :

لا يقتصر استعمال هذا المصطلح في اللغة على ما يدل على معنى (الخط) فقط ، إذ تعرض المعاجم العربية بما فيها المعاجم الحديثة عدة معان لمصطلح الحرف ، فالحرف كما ورد في المعجم الوسيط :

- يطلق على كل حرف من حروف الهجاء التي تبنى منها الكلمات ، فكلمة (رجل) مثلًا مبنية من ثلاثة حروف هي : الراء والجيم واللام ، يسمى كل حرف منها بحرف مبنى . (حروف المباني)

- ويطلق على الحروف التي تدل على معان في غيرها ، وتختص بدلالات واضحة بمجرد النطق بها ، كالهمزة للاستفهام ، والسين للاستقبال ، والواو للقسم ... (حروف المعاني)

- ويطلق على أحد أقسام الكلمة الثلاثة (التي هي : الفعل والاسم والحرف) وعليه فالحرف قد يطلق على كلمة كاملة كأن تقول : (مِن) : حرف جر ، و (إنَ) حرف نصب وتوكيد ، مع أن كل كلمة منها مبنية من أكثر من حرف .

- يطلق الحرف على اللغة واللهجة ، ومنه في الحديث : (نزل القرآن على سبعة أحرف) .

- يطلق الحرف على الطريقة والوجه .

وفي المقابل أوردت بعض معاجم المصطلحات تعريف كتابيًا للحرف بأنه : **" رمز مخطوط أو مطبوع يقوم مقام صوت أو مقطع أو معنى ، كالحروف الأبجدية في لغة ما أو الرموز الهيروغليفية " .**

ثانيًا : عدد حروف الكتابة العربية :

الأصل في تحديد عدد حروف أية لغة في الكتابة يعتمد على حصر الأصوات المنطوقة فيها ثم التمثيل لكل صوت بحرف يرمز إليه ، وقد توصل علماء العربية بعد جهود صوتية وكتابية طويلة إلى حصر حروف الكتابة العربية في ثمانية وعشرين حرفًا وبعضهم عدها تسعة وعشرين حرفًا ، والفرق بينهما يرجع إلى اعتبار الهمزة والألف صورة واحدة ، أو عدهما صورتين .

ورغم أن أصوات اللغة فيها الصوامت (ء ب ت ...) والصوائت أو الحركات القصيرة (الفتحة والضمة والكسرة) والحركات الطويلة (حروف المد) ، فإن الكتابة العربية قد رصدت حروفًا مكتوبة لجميع الصوامت ، وللحركات الثلاثة الطوية (و ا ي) ، ولكنها لم تضع حروفًا خاصة بالحركات القصيرة ، وهذا ما دفعهم بعد ذلك إلى محاولات تكملة النظام الكتابي بوضع رموز للحركات القصيرة (ـَ ـُ ـِ) ، ولكنها بقيت رموزًا ظاهرية توضع فوق الحروف ولا توضع وسطها ، وبالتالي يمكن إسقاطها من الكتابة بالاستغناء عن التشكيل ، بخلاف الحركات الطويلة (أي حروف المد) التي تدخل في نسيج الكلمة ولا يمكن إسقاطها منها .

ثالثًا : تسمية الحروف العربية :

تسمى الحروف العربية مجتمعة بعدة أسماء يعلمها الجميع ويستخدمها ، منها : حروف المعجم حروف الهجاء ، حروف التهجي ، حروف الأبجدية ، حروف الألفبائية ، ولكن الذي لا يعرفه الكثيرون هو : كيف تم تسمية كل حرف من هذه الحروف باسمه الي وصل إلينا ، فمن سمى الألف ألفًا ؟ وماذا تعني تسميته ؟ ولماذا سماه بهذا الاسم ؟ وكذلك كيف سميت الباء باء ؟ والتاء والثاء ... وكل الحروف .

والمتأمل في أسماء الحروف العربية يلاحظ أن كلًا منها يبدأ نطقًا وكتابةً بالحرف الذي يدل عليه ، فإذا نطقت (جيم) فإن أول حرف تنطقه هو (ج) ، وعندما تكتب اسمه تجد أول حرف في كتابة اسمه هو (ج) ، وهكذا جميع الحروف ، وهناك عدة محاولات للعلماء في تفسير هذا الترابط بين اسم كل حرف عربي ونطقه وكتابته ، من ذلك ما ذكره بعضهم من أن الكتابة السامية والتي منها الكتابة العربية قد وضعت أسماء الحروف فيها بأسلوب من الأساليب الخمسة الآتية :

الأول : اختيار اسم مكون من مقطع واحد مكون من الصامت المطلوب (الحرف المراد تسميته) مع حركة تمكِّن من نطقه ، ويمكن غلقه بهمزة في نهايته ، وبهذا الأسلوب سميت حروف (باء - تاء - ثاء - حاء - خاء - راء - زاء - طاء - ظاء - فاء - هاء - ياء) .

الثاني : اختيار اسم من مقطع واحد مغلق ، يتكرر الصامت في أوله وآخره ، ويتوسط بينهما حركة طويلة ، وبهذا الأسلوب سميت حروف (ميم - نون - واو) .

الثالث : اختيار اسم من مقطع واحد مغلق ، يقع الصامت المطلوب في أوله ، وينتهي بالنون ويفصل بينهما حركة طويلة ، وبهذا الأسلوب سميت حروف (سين- شين – عين - غين) .

الرابع : اختيار اسم مألوف وسائغ التصوير ليقطع من أوله الحرف المطلوب ، وبهذا الأسلوب سميت حروف (ألف - جيم - كاف - قاف - صاد - لام) .

الخامس : ابتداع الحروف الثانوية عن طريق المزج أو الزيادة .

وعلى كل حال فإنه من المسلم به بين العلماء أن العرب قديمًا كانوا يعرفون أسماء هذه الحروف ولا أدل على ذلك من نزول الحروف المقطعة في القرآن ، وقول النبي فيها : لا أقول : الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف ... حتى إن بعضهم قال بأن أسماء الحروف العربية هي توقيف من الله علمه لآدم ، بينما ذهب آخرون إلى أن تسميتها مشتقة من كلمات عربية كتسمية الألف من الألفة ، ...

رابعًا : أشكال الحروف العربية وصورها في الرسم :

بالنظر في الشكل الذي تكتب به الحروف العربية نجد أنها موزعة إما على **أشكال إفرادية** (أحادية) ، وذلك في مفردات (أ - م - ن - هـ - و - ي) ، أو **ثنائية وهي الأغلب** ، وذلك في ثنائيات (د – ذ) ، (ر – ز) ، (س – ش) ، (ع – غ) ، (ص – ض) ، (ط – ظ) ، (ف – ق) ، (ك – ل) تقريبًا ، **أو أشكال ثلاثية وهي أقلها** ، وذلك في ثلاثيات (ب – ت – ث) (ج - ح – خ) .

ومن النظر في هذه الأشكال الإفرادية أو الثنائية أو الثلاثية نلاحظ أنها تعطينا من الناحية العددية (١٦ شكلًا) فقط ، وذلك بدون التنقيط (٦ إفرادية ، و٨ ثنائية ، و ٢ ثلاثية) [١] ، ولكنها تعددت وتفرعت باستخدام نظام التنقيط ، فصارت على ٢٨ شكلًا ، لتتطابق مع عدد الأصوات المنطوقة فيختص كل صوت بحرف له شكل مختلف يميزه عن غيره ، وهذا التطابق بين عدد الأصوات وعدد الأشكال يعد تقدمًا مثاليًا في الكتابة العربية ، لم يكن ينقصه سوى تخصيص أشكال للحركات العربية القصيرة ، وهو ما تم إضافته لاحقًا - كما سيتبين في المبحثين التاليين -

وإذا كان بعض العلماء قد لجأوا إلى تضييق عدد الأشكال بحصرها في أشكال رئيسة تتفرع منها أشكال فرعية من خلال التنقيط ، فإن بعضهم الآخر حاول توسيع عدد هذه الأشكال باعتبار تعدد الصور الكتابية للحرف الواحد بحسب موقعه من الكلمة (في أولها – في وسطها – في آخرها – متصلًا – منفصلًا) ، حتى عدها أحدهم بالمئات ، فالهاء على سبيل المثال لها عدة أشكال باختلاف موقعها من الكلمة (هـ ، ـهـ ، ـه ، ه) ، وكذلك العين (عـ ، ـعـ ، ـع ، ع) ... وهكذا ، ويبدو أن الكتابة العربية قد ورثت أشكال حروفها عن أصولها السابقة ولا سيما من الخط النبطي كما دلت النقوش والآثار على ذلك .

[١] - ينظر رأي القلقشندي في اختصار أشكال الحروف العربية إلى ٥ فقط ، صـ ١١٤ وصـ ١١٥ .

خامسًا : ترتيب الحروف العربية : (معناه ـ أهميته وأسبابه – تنوعه وأنواعه)

تعريفه : يقصد بترتيب الحروف سوقها أو التهجي بها وفق نظام سردي أو ترتيب معين ، فيبدأ الهجاء بحرف معين ، وينتهي بآخر ، وتقع بينهما بقية الحروف في تتابع معين وترتيب مقصود لا يحيد حرف عن ترتيبه ، لا بالتقديم ولا بالتأخير .

أهميته وأسبابه : ترجع أسباب اللجوء لوضع الحروف العربية في ترتيب معين إلى ما للترتيب من أهمية علمية وأخرى تعليمية ، فقد يكون الدافع وراء الترتيب علميًا فترتب وفقًا للرابط أو العلاقة بين صورها وأسمائها ، وقد يكون الدافع تعليميًا فترتب بجعل كل مجموعة متشابهة في الكتابة تلي بعضها في الترتيب .

تنوعه وأنواعه : عرفت الكتابة العربية نظامين أساسيين في ترتيب الحروف ، الأول هو النظام المزدوج ، ويسمى حديثًا بالنظام الأبجدي ، والثاني هو النظام المفرد ، ويسمى حديثًا بالنظام الألفبائي ، ولكل منهما صورة في بلاد المشرق العربي ، وأخرى في بلاد المغرب العربي ، وبذلك يكون لترتيب الحروف العربية أربع صور (أبجدي مشرقي - أبجدي مغربي - ألفبائي مشرقي - ألفبائي مغربي) .

أولًا وثانيًا : الترتيب الأبجدي أو المزدوج المشرقي والمغربي : (أ – ب – ج – د – هـ - و...)

بالنظر في الصور الموجودة أمامك صـ ٩٥ ، يتبين أن ترتيب الحروف في هذين النظامين ينطلق من أصل واحد ورثوه عن الترتيب الأبجدي السامي ، ولم يقع بينهما الاختلاف إلا مؤخرًا (تقريبًا في القرن الثاني أو الثالث الهجري) .

وقد جُمعت حروف الترتيبين في كلمات يسهل ترددها :

هي عند المشارقة : أبجد ، هوز ، حطي ، كلمن ، سعفص ، قرشت ، ثخذ ، صظغ .

وعند المغاربة : أبجد ، هوز ، حطي ، كلمن ، صعفض ، قرست ، ثخذ ، طغش .

وقد اختلفت الآراء في سبب هذا الترتيب ، وظهوره في شكل هذه الكلمات على وجه التحديد فقيل إن الكلمات الست الأولى هي أسماء لأشخاص ستة هم أول من اخترع الخط العربي وألف حروفه ، وقد وضعوا الكتابة والخط على أسمائهم ، ثم أضيف إليها بعد ذالك بقية الحروف ، وقيل إن الكلمات الأربع الأولى كانت أسماء ملوك مدين ... وهناك آراء أخرى كثيرة ولكنها كلها مجرد احتمالات لا تأكيد عليها **(انظر التفاصيل صـ ٩٧ وصـ ٩٨)** وخاصة أن التاريخ لم يحفظ لنا شيئًا عن هؤلاء الأشخاص أو الملوك الذين اخترعوا الكتابة فيما يزعمون .

ويبدو أن الصواب في هذا الشأن هو أن ترتيب الحروف على هذا الشكل لا يعدو كونه وسيلة تعليمية مخترعة يتخذها الطالب لتسهيل حفظه للتسلسل الأبجدي ، وهذا الرأي يتفق مع الطبيعة التعليمية العربية التي تلجأ كثيرًا إلى صوغ كلمات بمعنى أو بغير معنى واضح لتمثل ما يمكن أن يسمى بمفاتيح الذاكرة ويكثر هذا في مجال الأصوات والتجويد وسائر العلوم اللغوية والشرعية ، ومن ذلك على سبيل المثال والحصر ، جمعهم حروف المضارعة في كلمة (أنيت) وحروف الزيادة في كلمة (سألتمونيها ، أو اليوم تنساه) ، والحروف المقطعة في القرآن في جملة

(نص حكيم قاطع له سر) ، والأصوات المهموسة في جملة (سكت فحثه شخص ، أو حثه شخص فسكت) ، وحروف القلقلة في (قطب جد) ... ونحو ذلك كثير جدًا في العربية .

وعليه فإن صياغة ترتيب الحروف العربية في هذه الكلمات (أبجد هوز ...) يقتصر على الجانب التعليمي ، ومن ناحية أخرى يظل دليلًا على العلاقة الوثيقة بين ترتيب الحروف العربية والحروف السامية التي تعد أصلًا للحروف العربية ، وهناك أدلة أخرى تثبت العلاقة بينهما منها ما يسمى بحساب الجمل . (**انظر شرحها صـ ٩٩**) ، ومما يؤكد أيضًا سامية هذا الترتيب أن العرب سموا الحروف الزائدة عندهم بالروادف (أي التوابع) وهي تسمية تشعر بأن هناك أصل هي زادت عليه .

وهناك رأي يذهب إلى أن ترتيب الحروف العربية بهذا الترتيب التعليمي يمثل كلمات ثنائية تدل في اللغة المصرية القديمة على عضو من أعضاء جسم الإنسان ، مثل (أ + ب = قلب) ، (ج+ د+ = شكل الإنسان) ... ولكن هذا الرأي غير مقنع لأنه لا يوضح لماذا يختار الساميون لحروفهم كلمات من المصرية القديمة ؟

وهناك اتجاه آخر في ترتيب الأبجدية بهذا الشكل يُرجع أصل هذا الترتيب إلى أن السلم الموسيقي السومري هو أساس هذا الترتيب ، ولكن أين الدليل على معرفة الساميين أو العرب بهذا السلم الموسيقي حت يرتبوا حروفهم على أساسه ؟

وهناك تعليلات أخرى كثيرة لهذا الترتيب منها أنه يعتمد على ضم الحروف المتشابهة إلى بعضها ، إما للتشابه في أسماء الحروف ، أو في أشكالها ، أو في نطقها ، أو في أصوات أسمائها ، أو في استعمالها (وتسمى هذه التشابهات بالجوامع الخمسة في ترتيب الحروف) .

وعلى أية حال يبدو أنه مع كل هذه الآراء لم يستطع العلماء بعد حسم السبب أو فك الشفرة وراء ترتيب الأبجدية العربية على وجه الدقة والتحديد .

ثالثًا ورابعًا : الترتيب الألفبائي أو المفرد المشرقي والمغربي : (أ - ب - ت - ث -ج - ح ...)

بالنظر في الصور الموجودة أمامك صـ ١٠٢ ، يتبين أن ترتيب الحروف في هذين النظامين ينطلق كذلك من أصل واحد ، ولم يقع بينهما الاختلاف إلا في القرن الثاني أو الثالث الهجري ، ويتفق الترتيبان في بدايتيهما ، ولا يقع الاختلاف بينهما إلا بعد حرف الزاي .

وقد نشأ الترتيب الألفبائي بصورتيه المشرقية والمغربية بعد عملية التنقيط التي أدخلت إليها على يد نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر اللذين قاما بتنقيط الحروف العربية وإعادة ترتيبها على هذه الصورة (أ - ب - ت - ث ...) ، ويخضع ترتيب الحروف بهذه الصورة لأربعة عوامل : العامل الوراثي السامي ، والعامل الصوتي (الصورة الصوتية أو طريقة النطق) ، والعامل الاستعمالي (كثرة الاستعمال أو قلته) ، والعامل التشابهي (في الصورة الكتابية أو شكل الحرف) وفي ضوء هذه العوامل الأربعة (**الوراثية والصوتية والاستعمالية والكتابية**) حصر بعضهم أسباب ورود الترتيب الألفبائي على هذا الشكل ، فمثلًا : تقدمت الألف في الترتيب لتقدمها في حروف أبجد (**عامل وراثي**) ، ولتقدم مخرجها على سائر المخارج (**عامل صوتي**) ، ولكثرة ورودها في الكلام (**عامل استعمالي**) ، ووليت الباء الألف لأنها كذلك في أبجد (**عامل وراثي**)

ووليتها التاء والثاء لمشابهتها لها في الصورة (**عامل كتابي**) ، وتقدمت التاء على الثاء لأن التاء من حروف أبجد (**عامل وراثي**) ، ولكون التاء أكثر دورانًا في الكلام (**عامل استعمالي**) ...

(اقرأ بقية الأسباب في النقاط العشرة من صـ ١٠٣ ـ ١٠٥ ، واستخرج فيها العوامل الأربعة المتحكمة في ترتيبها على نحو ما تقدم في حروف الألف والباء والتاء والثاء) مهمة للغاية

مع ملاحظة أن هناك آراء أخرى ترى أن هذا الترتيب توقيفي أي من وحي السماء ، وإذا صح هذا الرأي فإن الترتيب الألفبائي يكون أقدم من الأبجدي .

****

الفرق بين الترتيبين الأبجدي والألفبائي : بالنظر في الترتيبين نجد أن بعض الحروف تحتفظ بنفس ترتيبها فيهما ، وبعضها يتقدم في الترتيب ، وبعضها يتأخر ، **(انظر الجداول)**

* **الفرق بين الأبجدي والألفبائي في المشرقي** :

- الحروف الثابتة (حرفان) : أ ، ب

- الحروف المتقدمة (١٢) : ح ، س ، ص ، ر ، ش ، ت ، ث ، خ ، ض ، ظ ، غ .

- الحروف المتأخرة (١٤) : ج ، د ، هـ ، ز ، ط ، ي ، ك ، ل ، م ، ن ، ع ، ف ، ق ، و .

* **الفرق بين الأبجدي والألفبائي في المغربي** :

- الحروف الثابتة (حرفان) : أ ، ب

- الحروف المتقدمة (٩) : ح ، ر ، ت ، ث ، خ ، ذ ، ظ ، غ ، ش .

- الحروف المتأخرة (١٧) : ج ، د ، هـ ، و ، ز ، ط ، ي ، ك ، ل ، م ، ن ، ص ، ع ، ف ، ض ، ق ، س .

****

هذه الأنظمة الأربعة السابقة هي أنظمة الترتيب العامة للحروف العربية ، غير أن هناك بعض الترتيبات الخاصة ببعض علماء العربية ، وضعوها وساروا عليها في مؤلفاتهم ، كما فعل الخليل في ترتيب الحروف في معجمه (العين) ، وسيبويه في ترتيبها عند حديثه عن الإدغام في كتابه (الكتاب) وكترتيب ابن جني لها . **(انظر كيف رتبها كل منهم صـ ١١١ وصـ ١١٢)**

تمت المحاضرة ، والحمد لله أولًا وآخرًا